كلية الآداب–جامعة القاهرة
مجلد(٦١)عدد(٣)يوليه٢٠٠١

بين الصداقة والملق

د. عادل سعيد النحاس
كلية الآداب- جامعة القاهرة

لا يستطيع الإنسان أيا كانت منزلته أو مكانته أن يحيا وحيدا، بعيدا بمعزل عن الآخرين، بلا حب أو صداقة ، وإلا كان إما إلها أو كائنا أدنى من البشر . وقد خُلِقَ البشر جميعا وبداخلهم تلك الرغبة الطبيعية في الحب والصداقة . فالإنسان ، طبقا لأرسطو[١] ، " حيوان يميل للعيش مع غيره " Zῶον συνδυαστικόν أي مقترنا بغيره ، ثم تحول إلى " حيوان اجتماعي" Zῶον πολιτικόν يخضع لكل القوانين المنظمة للعلاقات والتعاملات مع الآخرين . وعندما يصف أرسطو " السعادة " ، وهي أقصى درجات الخير لدى الإنسان ، بأنها " الاكتفاء الذاتي " ، فإنه يحذر في الوقت نفسه قائلا: " نحن نتحدث عن اكتفاء ذاتي ليس شديد الخصوصية بذات الفرد ، الذي يحيا حياة منعزلة، ولكن (في خضم علاقاته) بالوالدين والأبناء ، والزوجة ، والأصدقاء ، وأبناء الوطن كافة ، طالما أن الإنسان (كائن) اجتماعي بطبيعته "

τὸ δ' αὐταρκες λέγομεν οὐκ αὐτῷ μόνῳ , τῷ ζῶντι βίον μονώτην , ἀλλα` καὶ γονεῦσι καὶ τέκνοις καὶ γυναικὶ καὶ ὅλως τοῖς φίλοις καὶ πολίταις , ἐπειδὴ φύσει πολιτικὸν ὁ ἄνθρωπος . (NE. 1097 b9-12)

فالصداقة بالنسبة لليونانيين تعد من أقوى العلاقات والروابط الأخلاقية بين الأفراد ، بل إن احترام الأصدقاء يتساوى في القدر وفي المنزلة مع احترام الآلهة، والأهل، والقوانين . ولذلك فقد حظيت الصداقة بأهمية كبرى في شتى مجالات الحياة ، فهي الملاذ في وقت الشدة ، والعون الرئيسي في معترك الحياة العامة[٢] . ولتوضيح مدى أهمية الصداقة والأصدقاء

بالنسبة للإنسان ، فقد شبهها أرسطو بكل من الثروة والصحة والفضيلة ، ثم يقول : " فهي مثل كل تلك الأمور جميعاً ، مصدر للخيرات "

ποιητικὰ γὰρ πάντα τὰ τοιαῦτα ἀγαθῶν

(Rhet. 1362 b 14 - 26)

ومما يؤكد أهمية وجود الأصدقاء في الحياة أنه " ليس هناك من يستطيع الحياة بلا أصدقاء "

ἄνευ γὰρ φίλων οὐδεὶς ἕλοιτ᾽ ἂν ζῆν

(NE. 1155 a 5)

" فالصديق "، طبقا لسوفوكليس في مسرحية " فيلوكتيتيس "، " أثمن من كل الممتلكات " (البيت ٦٧٣)

παντὸς γένοιτ᾽ ἂν κτήματος κρείσσων φίλος .

فهو يضع الأصدقاء في مرتبة أعلى ، بل وأغلى من كل الممتلكات الثمينة ، التي لا يعادل وجودها وقوف الأصدقاء بجانبك ، إذ من السهل التضحية بمن لا صديق له .

وهكذا فقد احتلت الصداقة مكانة بارزة في المجتمع اليوناني ، وأصبحت الرغبة في مساعدة الأصدقاء وحمايتهم ، بل والرغبة في إيذاء الأعداء ، تعدان من الأفكار التي تأصلت في أذهان اليونانيين منذ هوميروس حتى العصر الروماني ، بل حتى عصرنا الحالي . وهو على ما يبدو أمر من الأمور المتعلقة بالطبيعة البشرية ، فالجنس البشرى يسعى دائما لمساعدة الأصدقاء وإيذاء الأعداء ، بل ويشعر بالرضا والسعادة من ممارسة هذا السلوك . وفي ذلك يحدثنا نيوبتوليموس في مسرحية " فيلوكتيتيس " (الأبيات ٥٨٥-٥٨٦) ، قائلا :

فأنا عدو للأتريديين ، وهذا الرجل

هو صديقي الأعظم ، لأنه يكره الأتريديين

ἐγώ εἰμ᾽ Ατρείδαις δυσμενής· οὗτος δέ μοι

φίλος μέγιστος , οὕνεκ᾽ Ατρείδας στυγεῖ .

ومثلما يكون نجاح الأعداء مدعاة للألم ،فإن فشلهم دائما ما يكون مدعاة للسرور[٣] .

مفهوم الصداقة لدى أرسطو :

كان أفلاطون سباقا في معالجته لموضوع الصداقة في محاورة " ليسيس " Λύσις ، حيث دارت العديد من المناقشات الجادة عن مفهوم الصداقة وطبيعتها . في البداية يسأل سقراط الصبيين ليسيس و مينيكسينوس عمن يكون الأصدقاء ، وماذا تعني كلمة صديق ؟ ثم يحاول سقراط بأسلوبه التحاوري المعروف به أن يقود مينيكسينوس إلى سلسلة من التناقضات الظاهرية التي تظهر في مفهوم اليونانيين لكلمة φίλος ؛ فعندما يُعجَب شخص بشخص ما أو يحب شخصا أخرا فأيهما الصديق : المُحِب أم المُحَب ، أم كلاهما ؟ ، ثم يبادره بالعديد من الأسئلة المتلاحقة التي تؤدي في النهاية إلى إرباك مينيكسينوس ووضعه في موقف صعب [٤]. وفي معالجته لموضوع الصداقة لم يشر أرسطو إلى محاورة " ليسيس " بالاسم ، ولكن يبدو أنها كانت في خاطره ، فقد حاول أن يجد بعض الحلول لما واجه أفلاطون من مشكلات حول طبيعة الصداقة[٥] .

ولقد خصص أرسطو الكتابين الثامن والتاسع من عمله " الأخلاق النيكوماخية " Εθικὰ Νικομάχεια للحديث عن مفهوم كلمة ἡ φιλία ودلالاتها ، مستعرضا طبيعتها وأنواعها المختلفة ، ودرجاتها ، ودوافعها [٦]. فقد غطت كلمة ἡ φιλία مساحة كبيرة من العلاقات بين الأشخاص : كالعلاقة التي تربط بين الضيوف والأجانب οἱ ξένοι ؛ والعلاقة التي تربط بين المواطنين من أبناء الوطن الواحد πολιτικὴ φιλία ، الحكام والمحكومين ؛ والعلاقة بين الأخوة والأخوات و ذوي الأرحام συγγενικὴ φιλία ؛ والعلاقة التي تربط بين الأزواج ؛ وتلك التي تربط بين الأبناء وآبائهم وأمهاتهم πατρικὴ φιλία ؛ والعلاقة بين الأخيار ؛ والعلاقة التي تؤدى إلى ترابط رفاق العمل الواحد في شراكة واحدة – كالبحارة والجنود συνεργετηκὴ φιλία .

وهكذا نلاحظ أن أواصر الصداقة تعد جميعها علاقات خيِّرة تعمل على تقوية الود والترابط بين الناس . غير أن هناك بعض العلاقات التي يسعى المقدمون عليها إلى إشباع رغباتهم أو أهدافهم الشخصية : كالعلاقة التي تجمع بين واغبي المتعة معا ، وتلك التي تجذب محبي الشهوة والجنس معا ἐρωτικὴ φιλία ؛ وهناك أيضا تلك العلاقة التي

يهدف أصحابها إلى المنفعة الشخصية ، وهم " المتملقون " οἱ κόλακες . ويوضح أرسطو أن كل تلك العلاقات αἱ φιλίαι إما أن تكون بين أشخاص متساوين في الوضع الاجتماعي وفي المنزلة وأيضا في الفضيلة ، أو غير متساوين · فالعلاقة بين الأشخاص المتساوين تؤدى إلى ارتباطهم معا في علاقة صداقة قائمة على دوافع مختلفة ، ومتبادلة : كالخير ، والمتعة ، والمنفعة ، " فكلاهما يحصل على نفس المنفعة ، ويتمناها كل منهما للآخر "

τὰ γὰρ αὐτὰ γίγνεται ἀπ᾽ ἀμφοῖν καὶ βούλονται ἀλληλοις . (NE. 1158 b2 - 3)

أما العلاقة بين الأشخاص غير المتساوين فهي كتلك العلاقة بين الآباء والأبناء ، كبار السن والشباب ، الأزواج والزوجات ، الحكام والمحكومين(٧) .

وهكذا فقد استُخدِمت كلمة ἡ φιλία للدلالة على العلاقة بين الأصدقاء ، والأقرباء ، والمواطنين ، أو أي علاقة أخرى تربط بين شخصين أو أكثر . غير أن هناك مفهوم واحد فقط لكلمة ἡ φιλία ينطبق بشدة على معنى " الصداقة "، وهي علاقة المحبة والمودة الموجودة بين الأصدقاء οἱ φίλοι . ولذلك كان أرسطو في شدة الحذر عند تمييزه لذلك النوع ، كنوع مختلف عن أية علاقة حب أخرى ؛ فقد حصر استخدام كلمة ὁ φίλος على مرتبة الأصدقاء فقط ، وعندما يتحدث عن الأنواع الأخرى لمعنى كلمة ἡ φιλία ، كالعلاقة بين الآباء والأبناء ، فإنه لا يستخدم كلمة οἱ φίλοι ، على الرغم من استخدامه للفعل φιλεῖν " أن يحب " في سياق الحديث العام ، حيث إن للفعل مجالاً واسعاً أيضا في الاستخدام ، ككلمة ἡ φιλία في مفهومها العام . ويوضح أرسطو ذلك في عمله " الأخلاق اليوديمية " Ηθικὰ Εὐδήμεια بقوله : " فمن غير المنطقي أن يصبح الرجل صديقاً لطفله ، وإن كان على أية حال يحبه ويتلقى منه الحب "

ἄτοπον γὰρ ἂν εἴη εἰ ἀνὴρ παιδίῳ φίλος, φιλεῖ δέ γε καὶ φιλεῖται . (EE. 1239 a 5-6)

أما ما يمكن تسميته بالنوع الأكثر طبيعية لكلمة ἡ φιλία فهي العلاقة بين الأم وطفلها. فالأم تسعد بحب طفلها ، تطعمه وتحبه، ثم تزوده بالمعرفة حتى يكبر، دون أن

تطلب منه أن يبادلها الحب في المقابل ἀντιφιλεῖσθαι ، أو أن يرد لها الجميل أو التقدير، ولكن يكفيها أن تراه يحسن صنعا ، بينما يشق طريقه في الحياة، إنه ذلك الحب الطبيعي والبدائي ، ولذلك فقد نال تقدير واحترام أرسطو[٨] ؛ فالآباء والأمهات يحبون أطفالهم لكونهم من أصلابهم ، ولذلك فهم يحبونهم كحبهم لأنفسهم ، بل أشد حبا [٩] .

ومن العلاقات التي يربط بين أطرافها الشعور بالمودة والألفة أيضا : العلاقة بين الأشقاء ، التي تنشأ لكونهم من دم واحد ، كما أن نشأتهم معا منذ الصغر تسهم في وجود تلك المودة بينهم ، وهي تتشابه في ذلك مع العلاقة بين الرفاق οἱ ἕταιροι الذين يشبون معا ؛ أما علاقة المودة بين أبناء الوطن الواحد فتعتمد على ما يجمعهم من مصالح مشتركة أو متعة أو فضائل شخصية ، وهي العناصر الثلاثة التي تبعث على الحب والمودة بصفة عامة . وقد أثبتت علاقة الود بين رفاق الطريق إمكانية إقامة علاقة من خلال المشاركة في عمل واحد وإن كان محدوداً . أما العلاقة بين الزوج وزوجته فهي علاقة طبيعية ، حيث منحت الطبيعة البشر القدرة على التزاوج ، ليس بدافع الإنجاب فقط ، فهو دافع يشترك فيه الإنسان والحيوان أيضا ، ولكن بدافع الحياة الطيبة ، بما فيها من توزيع للأعباء والمشاركة في المنافع . أما عاطفة الحب التي تنشا بينهما فهي مفيدة وممتعة في نفس الوقت ، وقد تنشأ على أساس من الفضيلة تجاه الآخر وبخاصة إذا ما كانا خيِّرين . ثم يؤدى إنجاب الأطفال إلى تقوية تلك العلاقة بينهما ، وفي ذلك يحدثنا أرسطو بقوله : " ويبدو أن الأطفال هم الرباط الوثيق بينهما ، ولذلك فإن هؤلاء الذين حُرِموا من الإنجاب ينفصلون (عن بعضهم) أسرع (ممن سواهم).

σύνδεσμος δὲ τὰ τέκνα δοκεῖ εἶναι , διὸ θᾶττον οἱ ἄτεκνοι διαλύονται . (NE. 1162 a 27-28)

غير أن ذلك لا يعد دليلا على اعتقاد الإغريق في وجود علاقة صداقة بين الأزواج وزوجاتهم .

ومما سبق تتضح لنا طبيعة العلاقة ἡ φιλία بين الأشخاص غير المتساوين في المكانة . فمثل أولئك الأشخاص من الصعب أن يصلوا إلى مرتبة الأصدقاء ، وإن كان بينهم مودة وألفة متبادلة ، فلابد لمن يسعى للصداقة الحقة ἡ τελεία φιλία ، طبقا

لأرسطو ، أن يتسم بالفضيلة ، " فالصداقة الحقة هي صداقة الأخيار والمتشابهين في الفضيلة " (١٠)

τελεία δ᾽ ἐστὶν ἡ τῶν ἀγαθῶν φιλία καὶ κατ᾽ ἀρετὴν ὁμοίων . (NE. 1156 b7-8)

ومن الممكن أن يبلغ المرء منزلة الفضيلة الحقيقية التي تجعله إنسانا صالحا، عندما يتكيف مع السمات الأخلاقية ، والمشاعر ، وردود الأفعال تجاه كل ما هو خير ونبيل τὸ καλόν ، بل ويستمتع بممارسة ملكاته العقلية ، وبخاصة فضيلة الحكمة ، وسماته الشخصية النبيلة ؛ عندئذ يصبح إنسانا صالحا ، لديه الفضائل الأخلاقية والذهنية التي وصفها أرسطو في كتبه الستة الأولى(١١) . فالصداقة الحقة لا تقوم سوى بين أشخاص لهم نفس السمات الأخلاقية والفضائل الذهنية ، وهو أمر لا ينفي إمكانية وجود علاقة تقوم على أساس من الفضيلة بين أشخاص تكون فضائلهم الأخلاقية والذهنية غير كاملة ، أو لا تتحقق إلا جزئيا ، كالعلاقة بين الزوج وزوجته : فهما يتسمان بنفس السمات الطيبة ، على الرغم من أن وظائفهما الطبيعية τὰ ἔργα في الحياة مختلفة(١٢) . فالمرأة في أحسن حالاتها غير قادرة على تحقيق نفس مستوى الفضيلة التي يحققها الرجل في أحسن حالاته ، وذلك لكونها – طبقا لرأى أرسطو – أقل منه جسمانيا وعقليا(١٣). ويرى أرسطو أنه عندما يتحلى شخصان بكل تلك السمات الأخلاقية والفضائل الذهنية ، فإنهما يتجاوبان تلقائيا لكل ما هو خير ونبيل لدى الآخر ، ويسمي أرسطو رد فعلهما التلقائي ἡ εὐνοῖα " النية الحسنة " التي هي في تصوره " تعد البداية للصداقة (الحقة) ، مثلما تعد متعة المشاهدة هي البداية للعشق "

ἔοικε᾽ δὴ ἀρχὴ φιλίας εἶναι , ὥσπερ τοῦ ἐρᾶν ἡ διὰ τῆς ὄψεως ἡδονή . (NE. 1167 a 4-5)

فالصداقة، طبقا لأرسطو، تقوم على أسس مشتركة ، أهمها توفر" النية الحسنة " الصادقة التي تتسم بالقدرة على التعرف على ما هو خير في الآخر ، " وتمنى الخير للآخر "

βούλεσθαι τἀγαθὰ ἐκείνου ἕνεκα . (NE. 1155 b 31)

على أن يكون ذلك الشعور بالرغبة في الخير للآخرين متبادلا وليس من طرف واحد ، لأنه

إذا ما نشأت صداقة بين شخصين خيِّرين فلابد أن يشعر كل منهما بتلك النيات الحسنة الصادقة تجاه الآخر، ولابد أن يكونا على يقين تام بما في داخل الآخر من خير، وبعدم وجود مصلحة خاصة يسعى أي منهما لتحقيقها على حساب الآخر بسبب إقامة مثل تلك العلاقة ، وذلك لأن العلاقة التي تقوم على أساس من المصلحة الشخصية أو المتعة لا تتبع أساساً من نية حسنة صادقة . وفي ذلك يقول أرسطو : " أما من يتمنى الخير للآخر لأنه يأمل في كسبٍ من ورائه ، فيبدو أن نيته الحسنة التي يبديها للآخر ما هي إلا لنفسه ، فلا يعد صديقا من يسعى لمصادقة الآخر بسبب مصلحته الشخصية "

ὁ δε᾽ βουλόμενος τιν᾽ εὐπραγεῖν ἐλπίδα ἔχων εὐπορίας δι᾽ ἐκείνου , οὐκ ἔοικ᾽ εὔνους ἐκείνῳ εἶναι , ἀλλὰ μᾶλλον ἑαυτῷ· καθάπερ οὐδὲ φίλος ἐι θεραπεύει αὐτὸν διὰ τινα χρῆσιν . (NE. 1167 a 16-20)□□□□

ولذلك يؤكد أرسطو أن تلك " النيات الحسنة " لابد وأن تكون صادقة ، ولا تقتصر على مجرد الأمنيات الطيبة ، بما في ذلك الاستعداد الجدي لبذل مزيد من الجهد لمساعدة الآخر ، والصديق بذلك يحقق مصلحة صديقه ومصلحته هو أيضا في نفس الوقت . ذلك أن الإحجام عن مساعدة الآخرين في مصائبهم أو عند الشدائد قد يعد دليلا على عدم توفر النيات الحسنة التي تميز الصداقة الحقة التي لا تقوم فقط على أساس من المشاعر الطيبة أو الاهتمام المتزايد بقدر اعتمادها بنفس القدر على الأفعال ، فما يحسب للمرء هو ما يؤديه من أفعال تجاه صديقه ، كما أن الإقدام على الفعل هو الدليل الأكيد على الولاء والإخلاص بين الأصدقاء [١٤] ؛ ومثلما يُختَبَر الذهب بالنار ، تُختَبَر النيات الحسنة بالمواقف والظروف . ولذلك فقد أيقن الإغريق أن مد يد المساعدة للصديق هو أصدق دليل على توفر النية الحسنة الصادقة . أما الإحجام عن تقديم العون أو مساعدة الأصدقاء عندما تدعو الحاجة لذلك ، فهو نقض لعهد الصداقة ، بل هو من سمات الخصوم ، ولذلك فقد يتحول الصديق غير المخلص إلى عدو شخصيἐχθερός [١٥] ومن الملاحظ أن الانتقال من مرحلة النية الحسنة السلبية إلى الرغبة الفعلية في تحقيق مصلحة الطرف الآخر لا يتم إلا من خلال الاتصال الوثيق والألفة المتنامية بين الطرفين ، وهو ما يسميه أرسطو ἡ φίλησις

أي " الشعور بالمودة " [١٦] ، الذي ينبغي أن يكون متبادلا ἀντιφίλησις بين الطرفين في كل الأحوال [١٧] .

ومما سبق يتبين لنا أن النيات الحسنة لا تمثل في حد ذاتها الأساس للصداقة الحقة ، فقد نحمل بعض النيات الحسنة تجاه أشخاص لا نعرفهم معرفة شخصية[١٨] ، ولكن ينبغي أن تكون هذه النيات الحسنة مقترنة بالشعور بالمودة . فمثل تلك المشاعر المقرونة بالمودة تنمو وتزداد مع مرورالوقت ولا تحدث فجأة . ولكن مع عدم استمتاع كل شخص من الطرفين بصحبة الآخر ، ومع عدم توافر الفضيلة أو الاحترام المتبادل بينهما ، وأيضا مع عدم وجود مصالح مشتركة تؤدي إلى توفر قدر من المنفعة، فلن تنمو تلك المشاعر المقرونة بالمودة بينهما ، بالإضافة إلى عدم توفر الوقت الكافي الذي يقضيانه معا ، يتعاونان فيه ، أو يشتركان في تخطي الصعاب والعقبات التي تواجههما فيه [١٩] .

غير أن مجرد وجود مشاعر الود المتبادلة بين الأخيار أمرلا يكفي – حتى ولو نمت بإفراط طبقا لرأى أرسطو – لإقامة صداقة حقيقية بينهم ، فالمعلم الأول يؤمن بأن الصداقة الحقة لابد أن تكون أعمق من مجرد مشاعر ود صادقة ومتبادلة ، وأنها تعتمد في الأساس على " الاختيار المتأني " ἡ προαίρεσις من الطرفين ، ومعرفة كل منهما بالخير الكامن بداخل الآخر ، " فالشعور بالمودة ينبع من العاطفة (الجامحة) ، أما الصداقة فنتاج مزاج معتدل "

ἔοικε δ' ἡ μὲν φίλησις πάθει , ἡ δὲ φιλία ἕξει .

(NE. 1157□b29-30)

ولكون أحدهما خيِّر فإنه ينجذب إلى الآخر الذي يميل بطبيعته إلى كل ما هو نبيل وفاضل . وباختياره للآخر ليكون صديقا له ، فإنه يتحقق بالفعل من صلاحه واتفاقه مع خلقه الطيب ، وعندئذ يتمنى أن يحافظ على صلاح الآخر ، بل ويزيد منه كما لو كان صلاحه هو نفسه . " فالرجل الخيِّر ، لكونه صديقا للآخر، يسعى لخير هذا الصديق . فكل منهما يحب الخير للآخر طالما أن في ذلك خير له هو شخصيا ، ولذلك فإنه يقدم في المقابل ما يتساوى به مع الآخر ، بتمني الخير والسعادة له "

ὁ γὰρ ἀγαθὸς φίλος γινόμενος ἀγαθὸν γίνεται ᾧ φίλος. ἑκάτερος οὖν φιλεῖ τε τὸ αὑτῷ ἀγαθὸν καὶ τὸ ἴσον ἀνταποδίδωσι τῇ βουλήσει καὶ τῷ ἡδεῖ.

(NE.1157□b34-37)

تلك هي طبيعة إيثار الآخر الجوهرية في الصداقة الحقة ، التي تميزها عن العلاقات الأخرى التي تعتمد على توقع المنفعة من الآخر. فالصداقة الحقة هي التي تنشأ بين الأخيار المتشابهين في صلاحهم الفطري ، فكل منهم يتمنى الخير بنفس القدر لسواه ، لأنهم جميعاً أخيار بفطرتهم[٢٠] .

أما العلاقة التي تنشا بين الأشخاص على أساس من المتعة والمنفعة فقد تتطور في بعض الأحيان إلى علاقة إيثارية تنشأ بازدياد المعرفة المتبادلة لقيمة الشخص الآخر ، كالعلاقة بين الزوج وزوجته التي تنشأ منذ البداية بهدف المتعة والمنفعة المتبادلة ، ثم تتحول إلى التعرف على فضيلة الآخر[٢١] ؛ وكذلك علاقة الحب التي تنشأ بينهما ، حينما يتحرك أحدهما بدافع من المتعة والآخر بدافع من المنفعة ، ولكن عندما تتلاشى هذه الدوافع تستمر العلاقة بينهما " إذا ما أحب كل منهما أخلاق الآخر ، بسبب العشرة والمخالطة ، وحينئذ يصيران متماثلين (في الأخلاق) "

ἐὰν ἐκ τῆς συνηθείας τὰ ἤθη στέρξωσιν, ὁμοηθεῖς ὄντες.

(NE. 1157 a 11-12)

وهكذا قد تتغير طبيعة العلاقات ، من علاقة تقوم على أساس من المتعة والمنفعة إلى علاقة تنشأ بالتعرف على القيمة الجوهرية للآخر [٢٢] . لقد أدرك أرسطو أن سمو الإنسان يكمن في فعل الخير للآخرين : فالإنسان الخيِّر لديه الرغبة دائما في بذل ثروته ، وكرامته ، وقوته ، بل وحياته أيضا من أجل أصدقائه ، طالما أنه قد فضل السمو على أى شئ آخر[٢٣] . ذلك أنه يحب صديقة بقدر حبه لنفسه ، فنراه يتلهف لفعل الخير من أجل صديقة مثلما يتمناه لنفسه ، بل ويعمل على تحقيقه ، كما يسعى للمحافظة على حياة صديقه مثلما يسعى للحفاظ على حياته وعلى وجوده هو نفسه ، وبخاصة تلك الحياة السامية التي يستشعرها بداخله .

ومن سمات الإنسان الخيِّر أيضا أنه يستمتع بصحبة رفاق صديقه مثلما يستمتع بصحبة رفاقه ، ودائما ما تكون لديه الذكريات السعيدة للأوقات التي أمضاها معه ، والآمال المبشرة التي تنتظرهما في المستقبل ، كما يتشاركان معا في السراء والضراء . إن لديه القدرة دائما على التوحد مع عقل صديقه وروحه ، فتكون لهما نفس الأهداف[٢٤] . وعندما تتوحد مشاعر الرجل الخيِّر مع مشاعر صديقه ، " يصبح الصديق نفساً (أنا) أخرى لصديقه "

ἔστι γὰρ ὁ φίλος ἄλλος αὐτός . (NE. 1166 a 31)

على أن توحد الشخصية لرجلين خيِّرين في الصداقة يكون أقرب وأفضل عندما يتساويان في الذكاء ، وفي الخلق ، وفي التميز العقلي ، وأيضا في الوضع الاجتماعي والمكانة ، ويعلق أرسطو على ذلك بقوله : " الصداقة مساواة "

φίλοσης ἡ ἰσότης . (NE. 1157 b 37)

أو كما يعبر عنها في موضع آخر بقوله : " الصداقة مساواة وتماثل "

ἡ δ᾽ ἰσότης καὶ ὁμιότης φιλότης . (NE. 1159 b 2)

غير أن احتياج الصداقة الحقة للتساوي والتماثل في الفضيلة κατ᾽ ἀρετήν قد أدى إلى إنكار أرسطو لإمكانية وجودها بين الأشخاص المقربين . كالزوج وزوجته . لأنه يرى أن طبيعة الدور الذي يقوم به الرجل في الحياة وفضيلته يختلفان عن ذلك الدور وتلك الفضيلة الخاصة بالمرأة ، ولذلك فلا ينطبق أساس المساواة والتماثل في الفضيلة – حسب تصوره – في حالة الزوج وزوجته [٢٥] .

وعلى الجانب الآخر ، عندما يرتبط شخصان متساويان في الوضع الاجتماعي ومتماثلان في الفضيلة ، في علاقة صداقة ، فإن المنافع المتبادلة بينهما ستكون متساوية . فإن نجح أحدهما في تحقيق فائدة أعظم للآخر ،فهو ينجزها بنية خالصة ورغبة صادقة ، حبا في تحقيق الخير لصديقة[٢٦] ، مثل تلك الصداقة تعد أكثر رسوخا ودواما ، وأقل عرضة للفشل والانكسار بالوشاية أو بالشجار . فطالما كان كل منهما يدرك ذلك الخير الفطري الكامن في طبيعة الآخر ، فلن يكون عرضة لتصديق الأخبار المغرضة عن الآخر ، وسحب صداقته بسببها ، " فالثقة متبادلة بينهما ، ولا مجال بينهما أبداً لإنزال الضرر

بالرفيق ، لأن لدى كل منهما كافة المقومات التي تعد جديرة بالصداقة الحقة "

καὶ τὸ πιστεύειν ἐν τούτοις καὶ τὸ μηδέποτ᾽ ἂν ἀδικῆσαι ,
καὶ ὅσα ἄλλα ἐν τῇ ὡς ἀληθῶς φιλία ἀξιοῦται.
(NE.1157a23-24)

إن ما يساعد على استمرار نجاح الصداقة بين الأخيار هو قيامها على أساس من " الأخلاق " τὸ ἦθος ، و" العقل " الراجح ὁ νοῦς ، و" الفضيلة ἡ ἀρετή ، وهو أساس لابد أن يكون راسخا وجوهريا من كلا الطرفين ، أما إذا كانت المنفعة والمتعة هما الأساس الذي تقوم عليه الصداقة ، فالصديق عندئذ " لا يكون محبوبا لنفسه ، بل لكونه نافعا أو ممتعا (للآخر) "

καὶ οὐχ ἡ < ποιός τις > ὁ φιλόμενος ἐστίν ,
ἀλλὰ ᾗ χρήσιμος ἢ ἡδύς . (NE. 1156 a 16)

فالصديق في هذه الحالة لا يحب صديقه بقدر حبه للمنفعة أو المتعة التي يمنحها له . وقد لاحظ أرسطو أن بعض المشكلات قد تحدث في الصداقة التي تقوم على أساس المنفعة أكثر من تلك التي تقوم على المتعة ؛ وهما عنصران يختلفان في ذلك عن عناصر الصداقة التي تقوم على أساس من الفضيلة ، حيث يعمل الصديقان معا في ظلها على تحقيق مصلحة الطرف الآخر، ويسعيان لبذل العطاء قبل جلب المنفعة ، فلا شكوى بينهما أو غضب . فكيف يغضب شخص ممن يحبه ويسعى لمصلحته ، طالما يستمتع كل منهما بصحبة الآخر؟ فإذا ما انتفت المتعة من صحبتهما فعندئذ تبدأ الخلافات بينهما . أما الصداقة التي تقوم بدافع المنفعة فهي أكثر عرضة لوقوع العديد من المشكلات التي قد تؤدي إلى المشاجرات أو المشاحنات بينهما ، حيث يسعى كل منهما للحصول على المزيد من المنافع ، إذ يعتقد كل واحد منهما أنه قد حصل على أقل مما ينبغي ، ولم يغنم ما كان يرغب فيه أو يستحقه [٢٧] .

وهكذا فمن الممكن أن تتحطم مثل تلك العلاقات عندما يتغير الطرفان معا ، أو يتغير أحدهما ، ويصبحان بلا نفع أو متعة . وعلى الرغم من ذلك فقد أطلق أرسطو كلمة αἱ φιλίαι على تلك العلاقات ، انطلاقا من وجود منفعة شخصية أو دوافع متغيرة

تتشابه مع تلك الموجودة في الصداقة الحقة ، غير أنه يرى أن الأخيرة تتميز " بالبساطة والوضوح " ἁπλῶς ، و " التبادلية " ἀλλήλοις [٢٨] . فالمتعة التي يجدها الرجل الخيِّر في علاقته بشخص آخر، خيِّر مثله ، والاستمتاع بصحبته ، تنبع من تلك المتعة التي يستنبطها من إدراكه بذاته الخيِّرة . وعندما يدرك المرء أن ما يملكه خيِّر بطبيعته،يشعر بالمتعة والسعادة الحقيقية،فهو يجد المتعة الحقيقية في ذاته، كما يشعر أيضا أن ذاته مرغوب فيها لكونه على وعى بأن كل ما يقدم على فعله في الحياة خيِّر وممتع . ومثلما يرى أن ذاته مرغوب فيها لكونها خيِّرة وممتعة في ذاتها ، فإنه يرغب أن تكون ذات صديقه خيِّرة أيضا وممتعة في ذاتها ، طالما أن الصديق هو نفس أخرى لصديقه[٢٩].

ومن الأسس الثابتة التي يضعها أرسطو للصداقة الحقة ، أن يحيا الصديقان على مقربة من بعضهما ، يتشاركان في الأنشطة الحياتية ، ويمضيان الوقت الطويل معا في ممارسة تلك الأنشطة ، مما يساعد على تقاربهما ومشاركة كل منهما للآخر في الفكر وفي المشاعر ، من خلال تلك الحوارات المتعددة التي تدور بينهما ، كنتيجة مباشرة لإقامتهما معا لمدة طويلة . وبالنسبة للرجل الخيِّر فإن تلك الأنشطة تعد من الأمور الممتعة في حد ذاتها ، ولذلك فهو يحاول أن ينقل متعته الشخصية إلى صديقه ، بل إنه يستمتع بتلك المتعة التي تجدها " نفسه الأخرى " في ذاتها[٣٠] .

ويوضح أرسطو أن المشاركة في الأنشطة الذهنية تنمى متعة الأصدقاء حتى تصل إلى درجة واحدة متساوية، تلك المتعة التي قد تنتج عن تأمل الآخرين، ثم يقول : " فلدينا القدرة على تأمل المقربين إلينا أكثر من تأملنا لأنفسنا ، وعلى تأمل أفعالهم وتصرفاتهم أكثر مما يخصنا نحن من أفعال أو تصرفات " .

θεωρεῖν δὲ μᾶλλον τοὺς πέλας δυνάμεθα ἢ ἑαυτοὺς και τὰς ἐκεὶνων πράξεις ἢ τὰς οἰκείας .

(NE. 1169 b 34-35)

فالرجل الخيِّر إذن سيحصل على متعته من ذلك التأمل ، طالما أن أنشطة صديقه تتم على مقربة منه . ولكونها أنشطة رجل آخر خيِّر فلابد أن تكون أنشطة خيِّرة بالمثل ، مشابهة لأنشطته الشخصية . ولأنها خاصة " بنفسه الأخرى " فكأنها خاصة به هو شخصيا ،

يستمتع بها ويشارك فيها ويعمل على استمرارها،حتى تدوم ما بينهما من صداقة حقيقية وتستمر ، وفي ذلك يقول أرسطو : " إنها لحياة عسيرة تلك التي تكون فيها بمعزل عن الآخرين ، ذلك أنه من الأشق على نفس المرء حينما يكون بمفرده أن يحافظ دواما على فعاليته و نشاطه ، ولكن أيسر عليه أن يفعل ذلك بصحبة الآخرين "

μονώτῃ μὲν οὖν χαλεπὸς ὁ βίος · οὐ γὰρ ῥᾴδιον καθ' αὑτὸν ἐνεργεῖν συνεχῶς , μεθ' ἑτέρων δὲ καὶ πρὸς ἄλλους ῥᾷον . (NE. 1170 a 5-7)

وهذا الجلب يؤكد مفهوم أرسطو للصداقة الحقة التي ينبغي أن تكون مفيدة ونافعة للطرفين معا ، باعتبار أنها مفيدة لضمان استمرارية الأنشطة الضرورية لسعادة الإنسان ، وهي الأنشطة الذهنية والأخلاقية ، فبمساعدة الأصدقاء " يصبح الرجال أكثر قدرة على التفكير وعلى التصرف "

καὶγὰρ νοῆσαι καὶ πρᾶξαι δυνατώτεροι. (NE.1155 a 16)

فالإنسان ، طبقا لأرسطو ، حيوان اجتماعي وُلِد ليحيا مع الآخرين ، يؤدى عمله ويتقنه بالمشاركة مع الأصدقاء . وبذلك تصبح الصداقة ذات فائدة كبيرة للأخيار ، تدفعهم للإجادة ، وتجعلهم في أفضل حالاتهم . ولكن هل نحن بحاجة إلى الأصدقاء في حال الشدة أم في وقت الرخاء ؟ والإجابة أنه بقدر احتياجنا لوقوف الأصدقاء بجانبنا في وقت الشدة ، بقدر احتياجهم لنا للوقوف بجانبهم في وقت رخائنا [٣١] . ولقد أدرك أرسطو أن للصداقة أهمية كبرى في تماسك الدولة وفي وحدتها ، بل إن أهميتها تفوق في نظره أهمية العدالة : " فعندما يصبح الناس أصدقاء فلا حاجة بهم في شئ للعدالة ، أما إذا كانوا عادلين فإنه لا غنى لهم (عن الصداقة) "

καὶ φίλων μὲν ὄντων οὐδὲν δεῖ δικαιοσύνης , δίκαιοι δ' ὄντες προσδεύνται .(NE. 1155 a 26-28)

وكان أرسطو يؤمن حقا بوجود الصداقة الحقة، ولكن بقدر ضئيل وفي نطاق محدود ؛ فالصداقة بين مجموعة من الأشخاص لهم نفس الفضائل الأخلاقية والذهنية يعد شيئاً نادراً ، أولا : لندرة وجود مثل ذلك النوع من الأشخاص ، فمن الصعب أن يكون للمرء العديد من الأصدقاء الذين يحبهم لفضائلهم ولأنفسهم . ولذلك تكون سعادتنا كبيرة حين نجد بعضاً

منهم[٣٢]. ثانيا: لأن التعرف عن قرب بالآخرين والارتباط الوثيق بهم يتطلب وقتا كبيرا وجهداً مضنياً ، فمن الصعب أن يقسم المرء وقته بين عدد كبير من الأصدقاء ، أو أن يتقاسم مع عدد كبير منهم ، في ذات الوقت ، مشاعر السعادة أو الألم [٣٣] . ثالثا : ومع الافتراض بوجود عدد كبير من أولئك الأخيار ، فإن الصداقة الحقة لن تنشأ إلا مع عدد قليل منهم ، ولن يستطيع المرء أن يرتبط بصداقة وثيقة مع مجموعة كبيرة من الأصدقاء ؛ فأنى له أن يحيا مع هذا العدد الكبير عن قرب في ذات الوقت ، وأنى له أن يشاركهم بصدق في أنشطتهم الحياتية اليومية ، وهي من الأسس التي تقوم عليها الصداقة الحقة[٣٤]. ومن الملاحظ أن العديد من الصداقات التي خلدها الشعراء اليونانيون في أشعارهم غالبا ما وُجِدَت بين شخصين فقط .ويعلق أرسطو على ذلك قائلا: "أما متعددو الأصدقاء،الذين يتعاملون مع الجميع بأسلوب حميم،فلا يبدو أنهم أصدقاء لأحد"

οἱ δὲ πολύφιλοι καὶ πᾶσιν οἰκείως ἐντυγχάνοντες οὐδενὶ δοκοῦσιν εἶναι φίλοι . (NE.1171a 15- 17)

وفي نهاية الكتاب التاسع ، يحدثنا أرسطو عن الصداقة الحقة في ضوء آرائه الناتجة عن خبرته الشخصية في الحياة ، فيوضح لنا في فقرة مطولة كيف أن العيش على مقربة من الآخرين هو أكثر ما يسعى إليه الأصدقاء ، فيقول : " الصداقة هي المشاركة ، فمثلما يكون المرء لنفسه ينبغي أن يكون لصديقه . وكما أن إدراكه لذاته أمر مرغوب فيه (بشدة لنفسه) ، فكذلك الحال بالنسبة لصديقه ؛ وسوف يتحقق ذلك التفاعل الخلاق بالعيش معا (على مقربة) ، ومن الطبيعي أن يتوقوا إلى ذلك ما وسعهم السبيل . فكلما كانت حياتهم داخل جماعة كلما أحسوا ببهجة الحياة ، و ازدادت رغبتهم في الوقت نفسه للحياة بصحبة الأصدقاء . وبناء على ذلك فمنهم من يحتسون الشراب معا ، ومنهم من يلعب بالنرد مع رفاقه، ومنهم من يمارسون التدريبات الرياضية ، ومن يقومون بالقنص ، أو يتدارسون الفلسفة معا : كل طائفة منهم تقضى جل يومها مع الطائفة الأخرى ، مفضلة ذلك ومحبة له أكثر من أي شئ آخر في الحياة ؛ ذلك أنهم يتوقون إلى الحياة معا بصحبة أصدقائهم ، وبالتالي فإنهم يقومون بهذه الأمور ، ويتشاركون في هذه الأنشطة "

κοινωνία γὰρ ἡ φιλία . καὶ ὡς πρὸς ἑαυτὸν ἔχει , οὕτω καὶ

πρὸς τὸν φίλον , περὶ αὐτὸν δ᾽ ἡ αἴσθησις ὅτι ἔστιν αἱρετή καὶ περὶ τὸν φίλον δή · ἡ δ᾽ ἐνέργεια γίνεται αὐτῆς ἐν τῷ συζῆν , ὥστ᾽ εἰκότως τούτου ἐφίενται . καὶ ὅ τι πότ᾽ ἐστὶν ἑκάστοις τὸ εἶναι ἢ οὗ χάριν αἱροῦνται τὸ ζῆν, ἐν τούτῳ μετὰ τῶν φίλων βούλονται διάγειν· διόπερ οἱ μὲν συμπίνουσιν, οἱ δὲ συγκυβεύουσιν, ἄλλοι δὲ συγγυμνάζονται καὶ συγκυνήγουσιν ἢ συμφιλοσοφοῦσιν , ἕκαστοι ἐν τούτῳ συνημερεύοντες ὅ τί περ μάλιστα ἀγαπῶσι τῶν ἐν τῷ βίῳ· συζῆν γὰρ βουλόμενοι μετὰ τῶν φίλων , ταῦτα ποιοῦσι καί τούτων κοινωνοῦσιν .

(NE.1171 b 33-1172 a 8)

وربما كان أرسطو يشير هنا إلى ذكرياته في الأكاديمية عندما ذكر أن البعض" يتدارسون الفلسفة معا " ، أو ربما كان يلمح لحياته مع آخر أصدقائه ، هيرميس من أتارنيوس ، الذي قام أرسطو بتأليف أنشودة عن الفضيلة تكريما له [٣٥] .

وهكذا فإن لكلمة ἡ φιλία معنى أعم وأشمل وأعمق من مجرد كلمة " الصداقة " ، لأن المواطن الأثيني كان يعتبر أفراد أسرته ، وشركائه في العمل أو في السياسة " أعزاء " φίλοι عليه ، وكذلك كان ينظر بنفس الطريقة إلى كل من يشعر تجاهه بعاطفة المودة (٣٦) ، ولكن : " يبدو أننا لا نشعر بتلك المودة تجاه كل شئ ، ولكن تجاه ما هو محبوب منها (فقط) ، (وأعتقد) أن هذا هو الخيِّر أو الممتع أو المفيد "

δοκεῖ γὰρ οὐ πᾶν φιλεῖσθαι ἀλλὰ τὸν φιλητόν , τοῦτο δ᾽ εἶναι τὸ ἀγαθὸν ἢ ἡδὺ ἢ χρήσιμον .

(NE. 1155 b 18-19)

وهذه هي العناصر الثلاثة التي تقوم على أساسها الصداقة الحقة ، عند أرسطو .

الصداقة في الأدب اليوناني:
(أوريستيس وبيلاديس ، نموذج للصداقة الحقة)

من أشهر الشخصيات الأسطورية التي نشأت بينها علاقة صداقة قوية : ثيسيوس وبيريثوس . أخيليّوس وباتروكلوس . أوريستيس وبيلاديس ، إذ تعد العلاقة بينهم ، طبقا

لبلوتارخوس[٣٧]،خير مثال للصداقة الحقة في التاريخ القديم ؛ غير أن تلك العلاقات القائمة بينهم تبدو من الوهلة الأولي علاقات غير متكافئة في صورتها أو في طبيعتها ، لأنها تقوم في المقام الأول إما على أساس من النسب والقرابة ، أو ربما على نوع من المتعة الحسية [٣٨] . وقد اعتمدت الحبكة الدرامية للإلياذة على تلك العلاقة الحميمة القوية بين أخيليّوس وباتروكلوس ، والتي بسببها قرر أخيليّوس المشاركة مرة أخرى في قتال الطرواديين تحت إمرة أجاممنون بعد رفض دام عشر سنوات . وتعد العلاقة بين أخيليّوس وباتروكلوس خير مثال للصداقة التي تقوم على التضحية بالنفس ، وهي تضحية أقدم عليها أخيليّوس عندما تخلى عن أنانيته وما أدت إليه من نتائج هدامة لكل أصدقائه ، وأقدم على مواجهة الموت ، لا ليكتسب مجدا شخصيا ، ولكن كنوع من تأنيب الضمير نتيجة لمصرع صديقه باتروكلوس على يد هيكتور، وأيضا لفشل الحملة الإغريقية بسبب عنت موقفه[٣٩] ، فإيثار الغير يعد أحد العناصر الجوهرية التي تقوم على أساسها الصداقة . وكما أن إنكار الذات بالنسبة للصديق أمر يعود عليه بالنفع على المدى البعيد ، فإن التمسك بالأثرة بالنسبة للصديق أمر يعود عليه بالضرر ، وبخاصة في سمعته ، حيث يجعله عرضة لعدم كسب ود العديد من الأصدقاء الجدد[٤٠] .

ظهرت كلمة ὁ φίλος في الأدب اليوناني بمعاني ودلالات متعددة : فقد استُخدِمت للدلالة على الرفاق " الأعزاء " ، كما هو الحال في " الإلياذة " عندما يوجه أجاممنون حديثة قائلا ، " أيها الأبطال الدنائيون الأعزاء " (الكتاب الثاني . البيت ١١٠)

ὦ φίλοι ἥρωες Δαναοί

كما استُخدِمت كصفة ملكية للدلالة على الملكية الشخصية الغالية ، في إشارة الربة ثيتيس لأخيليّوس بأنه " ولدها العزيز " [٤١] δν φίλον ὑιόν ؛ كما وردت بمعنى " العاشق " في محاورة " المنتدى " τὸ Συμπόσιον لأفلاطون [٤٢] ، حيث يوضح الفيلسوف أن العلاقة بين أخيليّوس وباتروكلوس قد تعدت مرحلة الصداقة إلى مرتبة العشق ، ولذلك فهو يطلق على باتروكلوس صفة " العاشق" ὁ ἐραστής . ولكن علاقة الصداقة – كما ذكرنا – على خلاف علاقة العشق ، تقوم على أساس من المساواة والمشاركة ، تأكيدا لمقولة أرسطو : " الصداقة مساواة " [٤٣] ؛ ومن اليسير نبذ فكرة علاقة الحب المثلى بين

أخيليّوس وباتروكلوس [٤٤] ، وقد يؤيد ذلك ما ورد في حديث أرسطو عن علاقة الحب بين شخصين ، حيث يقول ، " ذلك أن الحب هو شعور بالإعزاز تجاه المُحِب ؛ أما من يُحِب ويُحَب (في ذات الوقت) فهو صديق "

φίλον μὲν γὰρ τὸ φιλούμενον τῷ φιλοῦντι, φίλος δὲ τῷ φιλουμένῳ καὶ αὐτὸς ὁ φιλῶν . (EE. 1236 b 35)

كما استُخدِمت كلمة ὁ φίλος للإشارة للمترددين على الغواني [٤٥] ، وهو ما يظهر في مسرحية " برلمان النساء " Εκκλησιάζουσαι لأرستوفانيس من خلال ذلك الحوار الذي يدور بين فتاتين من بائعات الهوى ، تقول إحداهن :

أنا ؟ إنني أشدو بيني وبين نفسي لحبيبي إبيجنيس.

فترد الأخرى قائلة :

وهل هناك خليل آخر لك سوى جيريس ؟

(الأبيات ٩٣١ – ٩٣٢)

- ἐγώ ;

ᾄδω πρὸς ἐμαυτὴν Επιγένει τὠμῷ φίλῳ .

- σοὶ γὰρ φίλος τίς ἐστιν ἄλλος ἢ Γέρης ;

غير أن استخدام كلمة ὁ φίλος ، ἡ φίλη بهذا المعنى لا ينطبق على العلاقة بين النساء والرجال الذين يحظون بالاحترام والتقدير .هذا بالإضافة إلى تغير معنى كلمة ὁ φίλος تبعا لحالة الإعراب التي تليها ، فهي تستخدم بمعنى " عزيز على " مع حالة القابل ، وبمعنى " صديق لـ " مع حالة المضاف إليه ، أما إذا استُخدِمت كصفة مبالغة فهي تعنى " أعز الناس " ، مثلما هو الحال في مسرحية " إليكترا " ليوريبيديس [٤٦] .

أما علاقة الصداقة بين أوريستيس وبيلاديس فقد قدمها يوريبيديس في أكثر من مسرحية ، أرسى خلالها العديد من الأسس التي قامت عليها الصداقة من خلال سلوك أوريستيس و بيلاديس . ففي مسرحية " أوريستيس " Ορέστης ، عندما أصيب البطل بمس من الجنون على يد ربات الغضب بعد الحكم عليه بالإعدام لقتل أمه ، نجد عمه مينيلاؤس يتنصل من نجدته ويؤثر عدم الدفاع عنه ، وهنا يقدم لنا يوريبيديس أنموذجا ساميا من نماذج الصداقة ، موضحا به أن الولاء والإخلاص للأصدقاء هو المحك الرئيسي

للصداقة ٠ إذ يوضح أوريستيس أن فعلته لم تكن سوى انتقاما من قتلة والده أجاممنون ، الذي جيش الجيوش وجمع الأسطول ، بل وضحى بابنته إفيجينيا من أجل استعادة زوجة أخيه هيليني ، وأن أجاممنون إنما أقدم على ذلك ليس فقط لما بين الطرفين من أخوة أو صلة رحم ، بل كمثال لشيمة الإخلاص بين الأصدقاء ، الأمر الذي يفتقده مينيلاؤس[٤٧]، عندما ظهر في صورة المخادع وأحجم عن مساعدة أصدقائه عند الحاجة إليها . وفي ذلك يوضح أوريستيس أن الصديق الحق هو الصديق الذي يؤازر في وقت الشدة ، ثم يقول :

فيم حاجتي إذن للأصدقاء ، عندما يكون حظي مواتيا ؟

(البيت٦٦٧)

ὅταν ὁ δαίμων εὖ διδῷ , τί δεῖ φίλων ;

فالأصدقاء هم الحلفاء الذين يقفون بجانبك في كل وقت وفي كل حين ، أو كما يقول بيلاديس :

إن المشاركة (في السراء و الضراء) من شيم الأصدقاء .

(البيت ٧٣٥)

..... κοινὰ γὰρ τὰ τῶν φίλων .

وعندما يدرك بيلاديس ما ألم بصديقه أوريستيس من سقم ، فإنه يتعهد برعايته حتى يشفي من سقمه ٠ ولكن أوريستيس يحاول أن يثنيه عن عزمه ،

خوفا عليه من الإصابة بالجنون[٤٨] ، ثم يسأله :

ألن يخالجك (أدنى) تتردد (في هذا الأمر) ؟

فيجيبه بيلاديس قائلا :

إن التردد شر وبيل بالنسبة للخلان .

(البيت ٧٩٤)

- οὐκ ἆρ᾽ ὀκνήσεις ,

- ὄκνοος γὰρ τοῖς φίλοις κακὸν μέγα .

وهكذا يكون الإقدام على مساعدة الأصدقاء ، وعدم التردد في مد يد المساعدة لهم ، هو المعيار الحقيقي للصداقة كما يوضحه يوريبيديس في هذه المسرحية ؛ وكان بارعا حقا عندما عمل على إبراز ذلك التناقض بين تخاذل مينيلاؤس وإحجامه عن مساعدة أوريستيس ، وبين ولاء وإخلاص بيلاديس لصديقه ، وإنكاره لذاته [٤٩] ، الأمر الذي يدركه أوريستيس

جيدا ويثق فيه كل الثقة ، وهو ما يبدو جليا في استقباله لصديقه الحميم بيلاديس عند وصوله ، قائلا :

ولكن ها أنا أرى بيلاديس ، الأعز على قلبي
من بين (كافة) البشر، شاقا طريقه قادما من فوكيس ،
بطلعته البهية . إنه رجل موثوق به وسط الخطوب .
(الأبيات ٧٢٥-٧٢٧)

ἀλλ᾽ εἰσορῶ γὰρ τόνδε φίλτατον βροτῶν
Πυλάδην δρόμῳ στείχοντα Φωκέων ἀπό ,
ἡδεῖαν ὄψιν · πιστὸς ἐν κακοῖς ἀνήρ .

فيرد بيلاديس على هذا الثناء بقوله :

..... يا أعزالناس على قلبي من بين كل أقراني ،
وأصدقائي ، وأقربائي . إنك بالنسبة لي هؤلاء جميعا .
(الأبيات ٧٣٢-٧٣٣)

φίλταθ᾽ ἡλίκων ἐμοὶ
καὶ φίλων καὶ συγγενείας . πάντα γὰρ τάδ᾽ εἶ
σὺ μοι .

لقد اجتمعا معا على صلة القرابة ، كما ترعرعا معا منذ الطفولة بعد مصرع أجاممنون على يد كليتمنسترا ، ولذلك فهو يعد " رفيقا " ὁ ἑταῖρος له أيضا، بالإضافة إلى أنه كان صديقه الحميم الأقرب إلى نفسه من كل هؤلاء ، وهو ما يعد تأكيدا لما ذكره أرسطو من " أن الصديق هو نفس أخرى لصديقه " [٥٠]. فهو يتمنى لصديقه أفضل الأشياء التي يتمناها لنفسه ، يقف بجانبه ، ويمد له يد العون وقت الشدائد ، حتى ينأى به عن كل المتاعب ، وكأنه ينأى بنفسه عنها ، وإلا فلن يكون صديقا حقيقيا له ، وهو ما يتضح من قول بيلاديس :

..... فكيف إذن سأبرهن على أنني صديق ،
لو أنني تقاعست عن مساندتك في الخطوب الفادحة ؟
(الأبيات ٨٠٢ – ٨٠٣)

ποῦ γὰρ ὢν δείξω φίλος ,
- εἴ σε μὴ ὶν δειναῖσιν ὄντα συμφοραῖς ἐπαρκέσω ;

وعندئذ يوضح أوريستيس مدى قوة العلاقة التي تربطه ببيلاديس ، مؤكدا في الوقت نفسه أنها أقوى من صلة الدم ، قائلا :

تلك هي القضية ، وهي أنكم تحظون بأصفياء لا بمجرد أشخاص
يمتون لكم بصلة القرابة :
فرُب إنسان غريب عن ديارك ، ولكن خصاله ذابت مع خصالك ،
فحظيت به صديقا لك ، وكان أكثر خيرا لك من ذوي قربى
لا يحصيهم العد . (الأبيات ٨٠٤– ٨٠٦)

τοῦτ᾽ ἐκεῖνο , κτᾶσθ᾽ ἑταίρους , μὴ τὸ συγγενὲς μόνον.
ὡς ἀνὴρ ὅστις τρόποισι συντακῇ , θυραῖος ὤν ,
μυρίων κρείσσων ὁμαίμων ἀνδρὶ κεκτῆσθαι φίλος .

فالثقة في المساندة والتأييد ، طبقا لذلك ، هي الاختبار الحقيقي للصديق ، كما أن الثقة المتبادلة بين الأصدقاء تعد من العناصر المؤثرة في الصداقة ، أما الخيانة أو التخلي عن المؤازرة فهي من أهم العوامل التي تقوض دعائم الصداقة ؛ وإذا كان من الصعب أن تخدع عدوا ، فمن السهل أن تخدع صديقا . كما أن العدو الظاهر للعيان خير من صديق مخادع يتخلى عنك وقت الشدة . ولذلك ينبغي على المرء أن يتوخى الدقة والحذر عند اختيار الأصدقاء . ولكي تكون تلك الثقة في موضعها فلا ينبغي أن نستغل الصداقة في تحقيق مصلحة شخصية ، أو متعة زائلة . فهناك أوقات تعظم فيها احتياجات الأصدقاء ، والصديق الحق هو من يهتم باحتياجات صديقه لمصلحة هذا الصديق أكثر من مصلحته الشخصية ، وعليه أن يسعى دائما لفعل كل ما يعتقد أنه خير لصديقه[٥١] .

وفي مسرحية " إليكترا " Ηλέκτρα يؤكد يوريبيديس مكانة بيلاديس السامية لدي أوريستيس ، نتيجة لما بينهما من مشاعر ود ، وثقة متبادلة، بقوله :

أي بيلاديس ، إنني حقا أخالك أول بني البشر ،
وأعتقد أنك صديقي ، وحليفي ؛
فقد كنتَ الوحيد من دون الأصدقاء الذي نظرت إلى أوريستيس

بعين التقدير والاحترام . (الأبيات٨٢ –٨٤)

Πυλάδη , σὲ γὰρ δὴ πρῶτον ἀνθρώπων ἐγὼ
πιστὸν νομίζω καὶ φίλον ξένον τ᾽ ἐμοί ·
μόνος δ᾽ Ορέστην τόνδ᾽ ἐθαύμαζε φίλων .

أما الفلاح البسيط الذي تزوج إليكترا فقد كان على علم تام بأنه لم يكن ليحظى بهذا الزواج لولا أنها أُجبِرت على ذلك ، حتى لا تنجب ذرية نبيلة قد تعمل على الانتقام من كليتمنسترا لقتل أجاممنون ، ولهذا فلم يكن ذلك الفلاح المسكين يعامل زوجته الأميرة إلا بكل ود واحترام ، حتى أنه رفض أن يعاشرها معاشرة الأزواج ، تقديرا لها وإجلالا لمكانتها ، ولذلك فقد كانت إليكترا تقدر له موقفه النبيل حق تقدير ، وكثيرا ما كانت تدعوه " يا أعز الناس " ὦ φίλτατε [٥٢] ، ولكنها في الوقت نفسه لم تنس قط ما فعلته بها أمها كليتمنسترا عندما أجبرتها على الزواج به ، في محاولة للتخلص منها وكسر شوكتها وإذلالها ، إرضاء لزوجها آيجيسثوس ، وهو ما تشير إليه إليكترا في حديثها لأوريستيس قائلة :

أيها الغريب ، إن النساء وليات حميمات لأزواجهن ، لا لأطفالهن [٥٣] .
(البيت ٢٥٦)

γυναῖκες ἀνδρῶν , ὦ ξέν᾽ , οὐ παίδων φίλαι .

وهي تعني أنهن " حليفات " مناصرات لأزواجهن ، ولا يتورعن عن الإقدام على فعل أي شئ في صالح أزواجهن ؛ كما استُخدِمت أيضا كلمة ὁ φίλος بذات المعنى عندما علا الصراخ داخل القصر ، وانتابت الجميع حالة من القلق والترقب ،

وعندئذ يخرج الرسول قائلا :

أيتها العذارى الموكينيات ، المظفرات بالنصر ،
ها أنا ذا أُعلِن لكل الأصدقاء أن أوريستيس قد قُدِّر له الفوز .
(الأبيات ٧٦١ – ٧٦٢)

ὦ καλλίνικοι παρθένοι Μυκηνίδες ,
νικῶντ᾽ Ορέστην πᾶσιν ἀγγέλλω φίλοις .

لقد أصبحت كليتمنسترا من الأعداء ، وليست من الأصدقاء أو الحلفاء ، وهو ما يظهر في قول إليكترا وهي تقف أمام جثمان أمها :

انظروا !! هاهنا ، صديقة ليست بصديقة ،

وها نحن ندثرها في تلك العباءة [٥٤] .

ἰδού , φίλᾳ τε κοὐ φίλᾳ

φάρεα τάδ' ἀμφιβάλλομεν .

ويبـدو أن مسـرحيتي " إليكتـرا " التـي عرضـت عـام ٤١٣ ق . م ، ومسـرحية " أوريستيس " التي عرضت عام ٤٠٨ ق . م تعكسان حالة الانحطاط الأخلاقي وتدنـي القيم الناتجة عن التصدع الذي حدث في المجتمع الأثيني ، وتصوران كذلك تردي الأوضاع وعدم الاستقرار في الحياة العامة بسبب الحروب البيلوبونيسية [٥٥] .

وفي مسرحية " إفيجينيا بين التاوريين " Ιφιγένεια ἡ ἐν Ταύροις تتجسد صورة الصداقة الحقة بين أوريستيس و بيلاديس ، وتتضح أواصرها من خلال التأكيد على قوة العلاقة التي تربطهما معا والتي يصورها يوريبيديس بأنها أقوى من صلة الدم . فعندما تستفسر إفيجينيا من أوريستيس ، دون أن تتعرف عليه ، عن علاقته ببيلاديس عندما لاحظت خوف كل منهما على الآخر ، نجدها تسأله إذا ما كانا أخوان من أم واحدة ، فيجيبها أوريستيس قائلا :

(نحن أخوان) في المحبة ، يا سيدتي ، لا في صلة الدم .

(البيت ٤٩٨)

φιλότητι γ' ἐσμὲν δ' οὐ κασιγνήτω , γύναι .

أما فضيلة إيثار الآخر ، وتمني دوام الخير له ، وهي من الدعائم الأساسية في العلاقة بين الأصدقاء ، فتبدو جلية عندما يطلب أوريستيس من إفيجينيا أن تعطي الرسالة التي ترغب في إرسالها إلى أصدقائها في أرجوس إلى صفيه بيلاديس ليقوم بتسليمها بدلا منه ؛ وكان يهدف من وراء ذلك التصرف أن ينجو بيلاديس بنفسه من الموت ، على أن يُقدَم هو كقربان للربة أرتميس ، حسب الطقوس الغريبة لأهل هذه المدينة [٥٦] ، ثم يعلق على ذلك قائلا :

عار لا مزيد عليه أن يُلقي المرء بأصدقائه–أو بما يمت بصلة لهم– إلى التهلكة.

ثم ينجو بنفسه منها ! ولكون هذا الرجل صديقا لي فإنني

أتمنى ألا يحدث له أمر أدنى مما أرغب في (أن أحظى به) وأنا على قيد الحياة .

(الأبيات ٦٠٥–٦٠٨)

τὰ τῶν φίλων
αἴσχιστον ὅστις καταβάλων ἐς ξυμφορὰς
αὐτὸς σέσωσται . τυγχάνει δ' ὅδ' ὢν φίλος ,
ὅν οὐδὲν ἧσσον ἢ μὲ φῶς ὁρᾶν θέλω .

وهكذا يحاول أوريستيس أن ينقذ صديقه من الموت ، ويتمني له ما يتمناه لنفسه في الحياة ، بل ويعمل على تحقيق تلك الأمنية عندما يطلب عودة صديقه إلى أرجوس حاملا الرسالة بدلا منه ، إنقاذا لحياته . وعندئذ تعبر إفيجينيا عن إعجابها بموقفه تجاه صديقه قائلة :

يالها من نفس بالغة النبل ! تبرهن على أنك انحدرت من سلالة
رفيعة الأصل ،
وأنك حقا محب لأصدقائك . (الأبيات٦٠٩–٦١٠)

ὦ λῆμ' ἄριστον , ὡς ἀπ' εὐγενοῦς τινος
ῥίζης πέφυκας τοῖς φίλοις τ' ὀρθῶς φίλος .

لقد لمست إفيجينيا فيه سمو الأخلاق ونبلها ، كما أدركت وفاءه وإخلاصه لأصدقائه . ومن ناحية أخرى ، عندما تهنئ الجوقة بيلاديس على حظه السعيد لإنقاذ حياته وعودته سالما إلى أرض الوطن ، فإنه لا يبدي شيئا من مشاعر الفرح أو السعادة لنجاته من الموت ، بل يعتصره الحزن ويضنيه الأسى على مصير صديقه ، فيعبر عن ذلك بقوله :

وا حسرتاه على الأصدقاء ويا لشقائهم عندما يموت أصدقاؤهم !!
(البيت ٦٥٠)

ἄζηλά τοι φίλοις θνησκόντων φίλων .

وعندئذ تصاب الجوقة بالحسرة والألم عليهما معا ، وإذا كان حزنها على أحدهما شديد ، فحزنها على الآخر أشد . إنهما يتسمان بالوفاء الذي يتحلى به الأصدقاء ، يسعد كل منهما بسعادة الآخر ، ويشقى بشقائه . لقد كان أوريستيس صديقه الأقرب إلى نفسه ، والأحب إلى قلبه ، فأنى له أن يراه وهو يلقى مصيره المحتوم ، إنه يتمنى له الحياة ، مثلما تمناها له أوريستيس من قبل ؛ و ها هو بيلاديس يعبر في صدق عن عميق حزنه وتعاسته

وما يعتصر قلبه المكلوم لما سيؤول إليه مصير صديقه الوحيد ، ورفيق صباه أوريستيس ، بقوله :

إنه لأمر مشين لنا أن نبصر الضوء بينما تقضي أنت نحبك
فكما أبحرتُ برفقتك ، كان ينبغي عليَّ أن أموت معك .
وإلا فسوف أوصم بالجبن والنذالة
في أرجاء أرجوس ، وفي كل وديان فوكيس الفسيحة ،
وسأبدو في نظر الآخرين ، وهم كثيرون وأوغاد ،
خائنا ، أنقذ نفسه (بأن عاد) بمفرده إلى أرض الوطن .
.....
هذا إذن ما أخشاه ، وينالني الخزي منه ،
وهو أمر لا يستوي مع وجوب أن ألفظ أنفاسي الأخيرة معك ،
أو أن يتم ذبحي أو حرق جثماني معك ،
بوصفي صديقا يخشى الملامة .
(الأبيات ٦٨٦ – ٦٧٤)

αἴσχρον θανόντος σοῦ βλέπειν ἡμᾶς φάος .
κοινῇ τ᾽ ἔπλευσα , δεῖ με καὶ κοινῇ θανεῖν .
καὶ δειλίαν γὰρ καὶ κάκην κεκτήσομαι
Αργει τε Φωκέων τ᾽ ἐν πολυπτύχῳ χθονί ,
δόξω δὲ τοῖς πολλοῖσι - πολλοὶ γὰρ κακοί -
προδοὺς σεσῳ̃σθαι σ᾽ αὐτὸς εἰς οἴκους μόνος .
.....
ταῦτ᾽ οὖν φοβοῦμαι καὶ δι᾽ αἰσχύνης ἔχω ,
κοὐκ ἔσθ᾽ ὅπως οὐ χρὴ συνεκπνεῦσαι μέ σοι
καὶ σὺν σφαγῆναι καὶ πυρωθῆναι δέμας ,
φίλον γεγῶτα καὶ φοβούμενον ψόγον .

وهكذا تكون الصداقة في أصدق صورها . وفي الوقت الذي يسعى بيلاديس لمشاركة أوريستيس في مصيره ، بأن يُذبَح بنفس السكين ، أو يُحرَق في ذات المحرقة ، لأن من المحال في نظره أن يحيا بدون صديقه ، يعترض أوريستيس على ذلك ويحاول إقناعه بالعودة سالما إلى أرض الوطن كي ينجب أبناء يخلدون ذكراه وحتى لا يندثر بيت أجاممنون لانعدام الذرية . وهذا أمر يوضح مدى تعظيم يوريبيديس لقيمة الوفاء بين الأصدقاء ، ذلك الوفاء الذي جعل بيلاديس يرضخ في النهاية لطلب أوريستيس ، مؤكدا منزلته في قلبه في كلتا الحالتين بقوله :

ذلك أنني سأتخذك صفيا لي بعد رحيلك عن الدنيا أكثر من
(محبتي لك) وأنت على قيد الحياة (البيت ٧١٨).
ἐπεὶ σ᾽ ἐγὼ
θανόντα μᾶλλον ἢ βλέπονθ᾽ ἔξω φίλον.

تعريف أرسطو للملق :

عندما تعرض أرسطو لشرح مفهوم الصداقة ، نجده يوضح لنا من خلال حديثه عن واحدة من أهم الأسس التي تقوم عليها الصداقة ، وهي " النية الحسنة " الصادقة التي يبديها الصديق تجاه صديقه بتمني الخير له ، أن تمني الخير للصديق أملا في الحصول على بعض المكاسب ، إنما هو أمر يكشف عن نية غير صادقة ، لأنه يعكس به حبه لذاته ، وتمني الخير لنفسه ، " وبالمثل ليس صديقا من يسعى لمصادقة الآخر من أجل منفعة شخصية " .

καθάπερ οὐδὲ φίλος ἐι θεραπεύει αὐτὸν διά τινα
χρῆσιν . (NE. 1167 a 19-20)

وهي إشارة من أرسطو لسلوك " المتملق" ὁ κόλαξ الذي يسعى لمصادقة الآخرين ومعاملتهم بلطف وود ، انتظارا لما سيجنيه من ربح أو فائدة كمقابل لتلك المعاملة الطيبة.

وكان أرسطو محقا عندما أكد أن الصداقة الحقة لابد وأن تقوم بين أشخاص متساوين في المنزلة والمكانة الاجتماعية ، لأنه إذا لم تتحقق المساواة بين الأصدقاء اختلفت رغباتهم وأهدافهم من إقامة مثل تلك العلاقة ، فأصحاب المنزلة الأدنى تتركز رغباتهم دائما في

الأخذ لا في العطاء . ومن وجهة نظر أرسطو فإن " المتملق هو الصديق الأدنى ، أو هو الشخص الذي يدعي ذلك ، وهو يغدق حبه (على من يدعي صداقته) أكثر مما يظفر به هو من حب "(٥٧)

ὑπερεχομένος γὰρ φίλος ὁ κόλαξ, ἢ προσποιεῖται τοιοῦτος < εἶναι > , καὶ μᾶλλον φιλεῖν ἢ φιλεῖσθαι .

(NE. 1159 a 15-17)

فالمتملق يعبر دائما عن حبه وتقديره المبالغ فيه للآخرين كوسيلة لغايته المنشودة من أجل تحقيق أهدافه ، والحصول على ما يسعى إليه . ولإدراكه أن هؤلاء الأشخاص أسمى منه مكانة ، نجد أن " المتملق يغدق الثناء عليهم أكثر مما هم خليقون به ".

κόλαξ μὲν ὁ πλείω συνεπαινῶν ἢ καλῶς ἔχει .

(EE.1221 a 25)

ولكونه الطرف الأدنى فإنه يقدم على عمل أي شئ ، محاولا كسب ود ، أو استرضاء من يدعي صداقتهم ، ولذلك نرى " أن المتملق يتحدث بسهولة ويسر عن كل ما يتعلق برغباتهم "

ὁ μὲν γὰρ εὐχρῶς ἅπαντα πρὸς τὰς ἐπιθυμίας ὁμιλῶν κόλαξ . (EE. 1233 b 31)

كما أنه يبذل الجهد الوفير من أجل تنفيذ تلك الرغبات حتى يصل إلى مسعاه بالحصول على منفعة شخصية ، ولذلك فعندما يقارن أرسطو بين " المتملق " ὁ κόλαξ ، و" المتزلف " ὁ ἄρεσκος الذي يتشابه في سلوكه إلى حد بعيد مع سلوك المتملق، يوضح أر سطو أنهما يختلفان في الهدف . فالمتزلف لا يهدف من تقربه وتوده إلى الآخرين سوى الشعور بالمتعة " لا لأي شئ آخر " μὴ διά τι ἄλλο ، " أما المتملق (فيفعل ذلك) كي يحصل على منفعة لنفسه من الأموال ، أو مما يمكن الحصول عليه بالمال "

ὁ δ' ὅπως ὠφέλειά τις αὐτῷ γίνηται εἰς χρήματα καὶ ὅσα διὰ χρημάτων , κόλαξ . (NE. 1177 a 7-9)

ولذلك فقد عرَّفه أرسطو بقوله : " المتملق هو الذي يغالي (في صداقته) بهدف نيل النفع المادي لنفسه " .

ὁ δ' ὑπερβάλλων ..... ἐι δ' ὠφελείας τῆς αὐτοῦ [ἕνεκα] , κόλαξ . (NE. 1108 a 29)

وهو مسلك يتعارض مع أهم الأسس التي حددها أرسطو للصداقة ، وهي تمني الخير للصديق بنفس القدر الذي يتمناه لنفسه .

أما أفلاطون فيصور لنا في محاورته " المنتدى " سلوك بعض المتملقين الذين يتصرفون كالتابعين الذين يحرصون على أداء الشيء المحبب لمن اتخذوهم أسياداً ، يتضرعون إليهم ، وينامون على أعتابهم ، ويخضعون برغبتهم لمثل تلك العبودية التي لم يخضع لها شخص من قبل [٥٨] . والمتملق بهذه السلوكيات يؤكد استحقاقه لأن يكون الجانب الأدنى منزلة في العلاقة بين الطرفين ، فهو يسعى جاهدا للحفاظ على تلك العلاقة المفيدة التي تعود عليه بالعديد من المنافع . وهكذا فقد كانت كلمة ὁ κόλαξ تستخدم بمعنى " المتودد " ، أو " التابع " ؛ وربما تكون قد استخدمت بمعني أكثر إجلالا للإشارة إلى أولئك الذين يرافقون الأمراء والملوك في بلاد الشرق وفي آسيا الصغرى. وطبقا لأثينايوس [٥٩] ، كان الأمراء القبارصة يوجهون الدعوة لمتملقين من أصل طيب ينتمون إلى أسرتين في سلاميس ، وكانوا يشتهرون بأنهم آذان للملك، يلتقطون كل ما يصل لأسماعهم في الأماكن العامة، ثم ينقلونه إلى الملك؛ ومن هنا اكتسبت كلمة ὁ κόλαξ معناها الذي يصف وضاعة صاحبها ومذلته ، لأنه لا يحجم عن القيام بكل ما يعتقد أنه يزيد من كبرياء ولي نعمته وغروره ، ويرفع من مكانته لديه .

وإذا كان الصديق الوفي هو الذي يمد يد العون لأصدقائه ، فإن من يخدعهم ويمدهم بالأوهام والتخيلات ليس بصديق ، بل متملق مدمر. و من الناس من يسعد بمثل هذا الملق الذي لا يعتمد على الصراحة والوضوح ، طالما أنهم يستمتعون بالانغماس في رغباتهم . فالصراحة المتناهية هي إحدى السمات الحقيقية لحسن النية التي يتسم بها الصديق تجاه أصدقائه ، وبخاصة في بلاط الملوك والحكام ، فهي تعمل على إبراز الحقائق أمام الأصدقاء ، مما يساعدهم على اتخاذ القرارات الصائبة . لذلك ينبغي على الصديق أن يكون هو الناصح الأمين ، في مقابل المتملقين والمخادعين الذين يلتفون حول الأمراء والملوك ، وذلك لأن الصراحة هي الفضيلة المطلوبة في مواجهة غضب الأمراء الحمقى الذين لا

يتقبلون النقد أو النصح أو لا يطيقون معارضة رأيهم ، حتى وإن كان ذلك النقد أو تلك النصائح في صالحهم ، فالجرأة على قول الصدق تعد إخلاصا حقيقيا للصديق ، ينبغي مكافأته [٦٠] .

ولقد ظهرت شخصية المتملق منذ قرون عديدة ، ولكن في صورة " الطفيلي " ὁ παράσιτος الذي ارتبط ظهوره بالطقوس الدينية ، حيث كان يقوم باختيار الغلال والأضاحي المقدمة كقرابين للآلهة ، ثم امتد نشاطه بعد ذلك إلى داخل بلاط الملوك والأمراء ، ولذلك تعد شخصية الطفيلي هي البداية الحقيقية للمتملق ، وأصبحت السمات السلوكية الخاصة بالطفيلي تنسب للمتملق ، وفي ذلك يحدثنا أثينايوس بقوله " اعتاد الشعراء القدماء تسمية الطفيليين بالمتملقين "

οἱ δὲ ἀρχαῖοι ποιηταὶ τοὺς παρασίτους κόλακας ἐκάλουν . (Deipn., vi 236 e)

وفي الربع الأخير من القرن الخامس ق.م ، استُخدِمت كلمة ο κολαχ بمعناها المتعارف عليه الآن وهو " المتملق " ؛ كما ظهرت هذه الشخصية على المسرح في مسرحية " المتملقون " Κόλακες للشاعر يوبوليس Εὔπολις (٤٢٢ ق . م) ، وكانت تحتوى على جوقة كاملة مكونة من " المتملقين " . أما كلمة ὁ παράσιτος فقد اقتصر استخدامها بوضوح على معناها المرتبط بالطقوس الدينية ، وهو " خادم المعبد " الذي يتلقى الأطعمة المجانية في مقابل تقديم خدماته لرواد المعبد [٦١].

المتملق لدى ثيوفراستوس :

ساعدت العوامل الاقتصادية ، وكذلك العديد من المتغيرات التي طرأت على الحياة الاجتماعية ، في ظهور شخصية المتملق ، وغيرها من الشخصيات النمطية ، وازدياد الدور الذي لعبه في الحياة العامة في القرن الرابع ق . م ، كما يدين المتملق بظهوره في تلك الفترة للتأثير المقدوني ، الذي ساعدت تقاليد البلاط الملكي فيه على تهيئة الظروف والمناخ الملائمين لظهور شخصيته أكثر من أي وقت مضي [٦٢] .